

الفكر الديني الحنيفي في شمال الجزيرة العربية

Hanif religious thought in the northern Arabian peninsula

الأستاذة نوال مغاري

¹ جامعة البليدة 2- لونيبي علي (الجزائر).nawelmeghari89@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/09 تاريخ القبول: 2023/02/09 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص:

الحنيفية نزعة توحيدية ظهرت في شمال الجزيرة العربية كتعبير عن التوجهات الروحية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وكان ظهورها إيذانا بالثورة على الوثنية المتهوية ودعوة إلى التوحيد الخالص لله تعالى وإتباع شريعة النبي إبراهيم عليه السلام من صلاة و صوم و حج و ختان و هدفت إلى إحداث إصلاحات واسعة و محاربة الآفات التي تفشت في المجتمع العربي الشمالي كالخمر والميسر والوآد، و قد عمل الحنفاء أبرزهم أمية بن أبي الصلت و عمرو بن زيد على نشر هذه الدعوة التوحيدية بين سكان جزيرة العرب وخارجها ممهدين بذلك السبيل لقيام دين شامل على صعيد الجزيرة العربية و لظهور عقيدة التوحيد في صيغتها النهائية المتمثلة في الإسلام الذي يعتبر استمرارا للديانة الحنيفية بخطها الواضح المائل عن كل شرك.

كلمات مفتاحية: الحنيفية، الحنفاء، التوحيد، الوثنية، العصر الجاهلي.

Abstract:

Hanifism is a monotheistic trend that emerged in the northern Arabian peninsula as a result of spiritual, economic, cultural and political developments. Its appearance was proof of the decline of idolatry and a call to pure monotheism and following the law of the prophet Abraham, peace be upon him,

of prayer, fasting, pilgrimage and circumcision. And the hanafis, led by Umayyah ibn abi al-Salt and Amr ibn Zayd, worked to spread the teachings of this monotheistic religion among the people of the Arabian Peninsula and beyond, paving the way for the doctrine of islam.

Keywords: Hanifism, Hanafis, monotheism, idolatry, pre-islamic era.

*المؤلف المرسل: نوال مغاري

1. مقدمة

شهدت فترة ما قبيل الإسلام ظهور مجموعة من النساك اعتقدوا بوجود إله واحد عبده، وحافظوا على معتقداتهم وسط التخطيط العقائدي الذي كان يعيشه العرب آنذاك، وبحثوا عن أجوبة كونية علوية فوق مستوى معاصريهم، وسموا بعقلهم وبحسهم الديني عن الواقع الذي كان موجودا والذي تسوده العبادات التعددية، وفتشوا عن معتقد ديني يكون أكثر قدرة على التعبير عن ذاتهم وعلى احتواء النضج العقلي الذي بلغه الإنسان العربي والذي يتلاءم مع العقل والفطرة، وذكر المفسرون وأهل الأخبار أسماء جماعة من هؤلاء ولقبوهم بالحنفاء، غير أن ما ذكره عنهم غامض لا يشرح عقائدهم ولا يوضح رأيهم في الدين، فلم يذكروا عقيدتهم في التوحيد ولا كيفية تصورهم لخالق الكون، فما هي الظروف التاريخية التي ظهر فيها هؤلاء؟ هل كانوا مجرد أفراد موحدين بالله ويدعون إلى نبذ عبادة الأصنام، أم أنهم فرقة دينية لها طقوسها وعمقها التوحيدي الخاص وكتبها وأنبياءها؟ وما هي المصادر الدينية التي استقوا منها عقائدهم، وما هي أبرز عقائدهم؟

2. الأوضاع الدينية في شمال الجزيرة العربية قبيل الإسلام

1.2 تداعي الوثنية

الديانة الحنيفية في شمال الجزيرة العربية

شهدت فترة الجاهلية الأخيرة خصوصيات مميزة من حيث منحى اتجاه حركة تطور الواقع الاقتصادي والاجتماعي نحو التوحيد، فقد تطورت القوى المنتجة، وتوسعت أعمال الري الاصطناعي وازداد الإنتاج الزراعي، وارتبط الإنتاج الصناعي بسوق التبادل، ونمت المدن، وتحولت العديد من القرى إلى حواضر مدنية، ونظمت الأسواق الموسمية العامة ورتبت أوقاتها مع الأشهر الحرم، وعقدت الاتفاقيات التجارية بين العرب والعالم الخارجي، ونشطت التجارة الداخلية والخارجية فازداد العرب تقارباً وتآلفاً وارتبطت أعداد وفئات كثيرة من سكان المدن والبادية بالعملية التجارية (برهان الدين، 1989، ص 61).

ساهمت هذه التغيرات الناشئة عن تبدل أسلوب كسب المعيشة من صفته الجماعية إلى صفته الفردية في تفجير الأطر القبلية التعددية وتفكك رابطة الدم والنسب بين أبناء القبيلة الواحدة، وتشكلت تحالفات سياسية قبلية كبرى على أساس من المصالح المشتركة والضرورات الدفاعية، أما على الصعيد الثقافي فقد انصهرت اللهجات وتوحدت في لهجة مشتركة هي لهجة قريش، التي أصبحت لغة التعبير الفني ولغة التعامل المشترك بين مختلف القبائل أثناء انعقاد المواسم العامة التجارية والدينية والأدبية، ووظف الشعر كأداة إعلامية في خدمة الاتجاه الوحدوي، وساهم ظهور اليهودية والمسيحية في تطوير الوعي الديني باتجاه النظر التجريدي نحو مشكلة الوجود متجاوزاً النظرة الوثنية الحسية الساذجة، وساهمت كل هذه التطورات في تفجير الأطر القبلية التعددية للدخول في إطار توحيد يعكس رغبة الناس في توحيد الجزيرة (برهان الدين، 1989، ص 61).

2.2 مظاهر تداعي الوثنية

يمكن التدليل على تداعي الوثنية واهتزاز إيمان الجاهليين بعبادة الأصنام وتطور الوعي الديني باتجاه التوحيد بجملة من الوقائع منها توجه العديد من القبائل

نوال مغاري

نحو عبادة إله واحد و التخلي عن تعددية الآلهة، مثل اجتماع قبائل قضاة ولخم وجدام وعاملة وغطفان على عبادة الصنم الأقيصر، واجتماع قريش وبنو كنانة كلها على تعظيم العزى مع خزاعة مع جميع مضر، واجماع قبائل أخرى على عبادة مشتركة للصنم ذو الخلصة (محمد، 2004، ص73).

يضاف إلى ذلك انخراط تلك القبائل كلها بصورة موضوعية خلال موسم الحج في عملية تتداخل فيها العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والأدبية والدينية تداخلا تفاعليا ينتج مزيدا من الاندفاع الموضوعي نحو ذلك المجرى العام لحركة صيرورة جديدة، وكانت الأسواق الموسمية المنعقدة أثناء أداء مراسم الحج هي المظهر الحركي الأكثر فاعلية في سياق هذه العملية المتداخلة (برهان الدين، 1989، ص61).

يكشف الشعر الجاهلي ومرويات الإخباريين عن إيمان عرب الجاهلية بوجود إله خالق رازق يحي ويميت ومالك كل شيء عرفوه بأسمائه وصفاته وباسمه العظيم الله، ولم يشركوا معه في هذا الاسم المفرد أحدا من آلهتهم التي عبدوها (الناصر، 1998، ص106).

يبدو أن توحيد الربوبية الذي عرفه العرب في جاهليتهم كان مجردا وخاضعا لتأثير الحس والانفعال لضروب شتى من الأوهام، فلم يكن يتقيد بوحى هذه الصفات إلا نادرا وفي نطاق ضيق، فكانت الاستعانة بالأنداد فاتخذوا الأصنام والأوثان، وتوسلوا بالملائكة والكواكب وبغيرها لتقرهم إلى الله عز وجل (محمد حامد، 1998، ص107).

تكشف النقوش العربية القديمة أن إله التوحيد "الله" كان مقدسا في المجامع الإلهية العربية الشمالية قبل أن يبشر به الإسلام كإله للتوحيد، وجاء ذكره

الديانة الحنيفية في شمال الجزيرة العربية

بصيغ مختلفة في النقوش الصفوية والحيانية والثمودية والنبطية ، منها إله (ال ه) دون أداة التعريف وبصيغة (ه ا ل ه) ال ه ا (الإله) ال ه ي (الآلهة) ال ه ي (آلهة) ال ه ت (الهة)، ال ه ا (الهة) بأداة التعريف ه ، ويرجع أصل هذه التسميات إلى الجذر (ايل) (ال) والذي يعني الإله الواحد إله التوحيد (فكتور، 1992، ص372)

إن جملة هذه الظواهر داخل الحقل الديني الوثني مرتبطة موضوعيا بظواهر الواقع الاجتماعي، أي تلك الظواهر التي كانت حصيلة عملية تاريخية تجري حينذاك باتجاه اختراق الأطر القبلية التعددية البدائية على طريق صيرورة المجتمع الجاهلي الكمي مجتمعاً عربياً بالمعنى الكيفي، تلك العملية التاريخية نفسها التي كانت ظاهرة الحنفاء نتاجها التاريخي الفعلي (محمد، 2004، ص73).

3. بروز تيار الحنفاء في شمال الجزيرة العربية

1.3 مفهوم الحنيفية

جاءت كلمة حنيف في قواميس اللغة العربية بعدة صيغ (حَنَفَ، حَنِفَ، حَنْفَ، حَنْفَ) حملت كلها معنى الميل، ومنه الميل من الخير إلى الشر، أو من الشر إلى الخير، والحنيف هو مستقيم الطريقة، وهو الذي يتحقق ويتحرى أقوم الطرق، والحنفاء مائلين عن الباطل إلى الحق، ويشير بعض المستشرقين إلى أن أصل الكلمة عبراني (تحنوت) وتعني العبادة، ويذهب آخرون إلى القول بأنها من الألفاظ السريانية المعربة وتعني المنشق عن دينه أو الصابئي ومنها انتقلت إلى عرب الجاهلية (عبد السلام، 215، ص1).

أطلق العرب قديماً كلمة حنيف على الشخص الصابئي أي الخارج عن دين قومه، وقد حدث ذلك عندما أطلق أهل مكة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه لفظة الصابئة التي أطلقوها على الحنفاء، حتى أنها أصبحت تطلق على كل من خالف دين قومه (أبو الحسن. 1981. ص122)

نوال مغاري

والحنيف اصطلاحاً هو من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء منه، وهو الناسك والمختون، والحنيف هو المسلم الذي يستقبل القبلة على ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام، والحنيفية اسم لمن يستقبل الكعبة في الصلاة، ويحج البيت الحرام بمكة ويختن، وهو ما كان على دين سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وذكر آخرون أن الحنيفية هي حج البيت وإتباع الحق، وإتباع لشريعة إبراهيم عليه السلام، وكذلك الإخلاص لله تعالى والإقرار له بالربوبية والعبودية دون غيره (فخر الدين، 1981، ص89).

يؤكد القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث أن الحنيفية هي دين الفطرة، التي فطر الله الناس عليها، فقد جاء في صحيح الإمام مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً في خطبته: "إن ربي عزوجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا كل مال نحلته عبادي حلال وأناي خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فأضلّتهم عن ديني وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً" (مسلم، 1991، ص2865).

أما تاريخياً فيذهب بعض المؤرخين إلى اعتبار الحنفاء فرقة من فرق المسيحية المتراجعة، والتي ظلت على ملة إبراهيم عليه السلام في سياق محاولتها الحفاظ على بقية من دين عيسى بن مريم في وجه المسيحية الرسولية التي اندفعت إلى الجزيرة العربية مع تصاعد الحملات الحربية والتبشيرية، فلم يقبلوا بالأفكار والرؤى والتصورات اللاهوتية والفلسفية التي وفدت من خارج الجزيرة العربية وجعلت المسيح في منزلة الإله (فاضل، 2009، ص27).

إلا أن هذا التوجه يتعارض والواقع التاريخي، فلو أنهم كانوا مسيحيين حقاً لكانت الهوة بينهم وبين مجتمعهم الوثني كبيرة جداً، وانعكس ذلك على وضعهم في

الديانة الحنيفية في شمال الجزيرة العربية

المجتمع وفي حديث الناس عنهم وفي جهودهم للدفاع عن دينهم ونشره بين الوثنيين (محمد علي، 1984، ص166).

يذهب آخرون إلى اعتبار التفاعل والتعايش الطويل المدى بين التصورات الوثنية والأفكار اليهودية والمسيحية، أنتج بعد اختماره في ذاكرة الوعي فرقة من الناس في مجتمع الجاهلية بموقف متميز حيال كل تلك المسائل الكونية، أي موقف ليس بوثنى ولا يهودي ولا مسيحي بل منفرد باتجاه الرؤية التأملية كعلامة على ولادة أمر جديد من رحم الأمر القديم نفسه، فظهر شكل ديني جديد لا يأخذ بمفهوم التوحيد اليهودي ولا المسيحي، بل بالمفهوم الذي سيصبح مفهوم التوحيد الإسلامي، وهذا هو دين الحنفاء الذي مثل التعبير الناضج على صعيد الوعي الديني عن اتجاه المجتمع العربي الجاهلي نحو الصراع مع نظامه القبلي التعددي (عزالدين، ص116).

مرت الديانة الحنيفية كغيرها من المعتقدات بعدة مراحل منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام حتى مجيء الإسلام الذي جمع جميع الرسالات السماوية السابقة في بوتقة واحدة بثلاثة مراحل، تبدأ هذه المرحلة بهجرة النبي إبراهيم عليه السلام إلى بلاد العرب الحجازية أين نادى باتباع منهج التوحيد ونبد عبادة الأصنام، والدعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى دون أي شريك له ورفع قواعد البيت الحرام مؤذنا بذلك رسم طريق الملة الحنيفية في المنطقة، أما المرحلة الثانية فشهدت تراجع الظاهرة الدينية التوحيدية دون زوالها تماما (عبد السلام، 2015، ص ص2-3).

وخلال المرحلة الثانية غدت الوثنية خلال هذه المرحلة أكثر الأشكال الدينية انتشارا وأقواها جذورا في المجتمع العربي الجاهلي وأسهم وجهاء مكة وأغنياءها ومنهم عمرو بن لحي في مركزة عبادة الأوثان، حيث استثمروها لتعزيز نفوذ الارستقراطية الأدبي بين القبائل ومن أجل السيطرة والاستثمار و جني الأرباح عن

نوال مغاري

طريق تنشيط التجارة، أما المرحلة الثالثة فشهدت فترة قبيل الإسلام، وهي المرحلة الضعيفة التي مرت بها الديانة الحنيفية حيث لم يبق لها إلا أتباع قليلون حافظوا على معتقداتهم وسط التخبط العقائدي الذي شهده العرب آنذاك، وأصبح بمثابة المفهوم الجديد الذي اعتمد عليه الإسلام فيما بعد، ولذلك فقد كانت ظاهرة الحنفاء حلقة في مرحلة الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام (عبد السلام، 2015، ص 2-3).

2.3 حنفاء شمال الجزيرة ومعتقداتهم.

إن الأسماء التي وصلتنا عن حنفاء الجاهلية، هي حصراً أسماء الذين عاشوا قبل الدعوة الإسلامية بزمان وجيز، والذين عاصر قسم منهم، أخذوا على عاتقهم مسؤولية نشر مثل هذه الدعوة التوحيدية بين سكان جزيرة العرب وخارجها، وقد جاءت بعض المصادر على ذكر أسمائهم منهم: أبو الهيثم بن التيهان، أسعد بن زرارة، الأعشى بن ميمون، أميمة بنت عبد المطلب، أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة، خالد ابن سنان، الرباب بن البراء، زهير بن أبي سلمى، عامر بن الضراب العدواني، عبد الطابخة بن ثعلب القضاعي، عبد المطلب بن هاشم، عبيد بن الأبرص، عبيد الله بن جحش، عثمان بن الحويرث، عمرو بن عبسة السلمي، كعب ابن لؤي بن غالب، المتلمس بن أمية، النابغة الجعدي، وكيع ابن مسلمة الإيادي (ابن الأثير، 1390هـ، ص 278).

أمية بن أبي الصلت: أوفر الحنفاء حظاً في بقاء ذكره، حيث وصلنا الكثير من شعره الديني الذي يتناول فيه مختلف قضايا الخلق والحياة والبعث، ويعتبره البعض منظر الحنيفية الديني الأول، وتذكر الروايات أنه قام بعدة رحلات إلى الشام واليمن والعراق والبحرين، وأخذ الكثير من علومه الدينية عن دياناتها التوحيدية من يهودية ومسيحية، وكان يراوده طموح في التبشير برسالة دينية توحيدية يكون هو

الديانة الحنيفية في شمال الجزيرة العربية

نبيها، فلما نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم حسده، واتخذ موقفا سلبيا من الدعوة الإسلامية (عماد، 1998، ص36).

زيد بن عمرو بن نفيل: من بني عدي من قريش، اعتزل عبادة الأصنام ونهى عن الموءودة وامتنع عن الذبح للأنصاب وعن أكل الميتة والدم، ارتحل في بلاد الشام والعراق ودارس أخبارها ورهبانها في إطار بحثه عن ديانة إبراهيم عليه السلام، وروي عنه أنه كان مسندا ذات يوم ظهره إلى الكعبة وقال " يا معشر قريش والذي نفسي بيده، ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري ثم يقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك به، ولكني لا أعلم، ثم يسجد على راحته، ويصلي إلى الكعبة ويقول: إلهي إله إبراهيم...وديني دين إبراهيم"، ويروي الإخباريون أنه كان إذا خلص إلى البيت استقبله وقال "لبيك" (عماد، 1998، ص35).

قس بن ساعدة: رفعه الإخباريون إلى درجة عالية في الحكمة والخطابة، ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أدركه وقال فيه "يحشر أمة وحده يوم القيامة"، مما يدل على أنه كان كل البعد على عبادة قومه الجاهلية وأنه كان على عبادة الله وحده (عماد، 1998، ص34).

ورقة ابن نوفل: عرف بأخلاقه الحميدة التي ميزت الحنفاء، وخروجه عن عبادة قومه القريشيين، طاف في الأرض باحثا عن الدين الصحيح برفقة زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة من الحنفاء الذين اتخذوا موقفا إيجابيا من الدعوة الإسلامية (عماد، 1998، ص37).

ميز الصباغ ضمن هؤلاء ثلاثة تيارات حنفية كبرى اجتمعت على التوحيد وتمايزت في جوانب نشاطها الطقسي، أحناف قلب الجزيرة (مكة يثرب الطائف)، حنفاء اليمامة وحنفاء جنوب الجزيرة، ويرجح أن هؤلاء الحنفاء كانوا مترابطين ويوجد نشاط حنفي مشترك بينهم، فقد اتفقوا على الخروج بشكل جماعة عن معتقدات قريش وتعاهدوا على السرية والكتمان وسعوا بشكل جماعي إلى البحث عن

نوال مغاري

التوحيد الإبراهيمي بمدرسة أصحاب الكتاب، وهو ما ينفي الصفة الفردية عنهم ويجعل اجتماعهم أقرب إلى شكل من أشكال العمل التأسيسي لفرقة دينية ستقوم بعد استكمال صياغة عقيدتها بنشر دعوتها الخاصة والتبشير بالتوحيد المنزه بشكل علني، وتداولوا كتب دينية تخصهم تمثلت في صحف إبراهيم ومجلة لقمان، إضافة إلى اشتراكهم في ممارسة نفس الطقوس ميزتهم عن محيطهم الجاهلي وعن ديانات الجزيرة التوحيدية الأخرى(عماد، 1998، ص ص 64-70).

يظهر من روايات الإخباريين أن هؤلاء الحنفاء كانوا من مثقفي عصرهم وبعضهم كان متقنا للسريانية والعبرية حيث وقفوا على تيارات الفكر في ذلك الوقت، وكانوا من أسر مرفهة وهو الأمر الذي سهل عليهم مهمة اقتناء الكتب لنهل المعارف الدينية منها، كما مكنتهم أوضاعهم الاقتصادية الميسورة من الارتحال خارج الجزيرة إلى الشام والعراق لتلقى العلم والاتصال برجال العلم والدين(جواد، 1993، ص458).

لم يرد في كتابات المسند ولا في كتابات شمال الجزيرة ولا في المصادر الكلاسيكية ولا في الكتابات الجاهلية الأخرى ما يشفي الغليل عن عقيدة هؤلاء الحنفاء وعن آرائهم، لذلك اقتصرنا معرفتنا بأحوالهم على ما جاء روايات الإخباريين، ولكن الصورة ليست واضحة ومطموسة في كثير من النواحي، وتخص الناحية الخلقية أكثر مما تخص الناحية الدينية، فليس فيها شيء عن عقيدتهم في الله وعبادتهم له (جواد، 1993، ص454).

قدم شعراء الحنيفية صورة مشرقة لدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام والذي استمر حيا في قلوب العرب وعقولهم لآلاف السنين، فقد أسهموا في تبليغ دعائم عقيدة التوحيد ورسالة الأنبياء عبر عصور التاريخ مختلفين في وسائل إرسائها تبعا لقوة عقيدتهم وحرارة إيمانهم فكانوا يمثلون الحنيفية على نصاعتها وسلامتها

الديانة الحنيفية في شمال الجزيرة العربية

كزيد بن عمرو بن نفيل وأمية بن أبي الصلت، حيث جندوا عبقرتهم في خدمة الدين ويمكن تلخيص بعض هذه الطقوس فيما يلي:

أ: الإيمان بالله وحده لا شريك له والدعوة إلى نبذ الأوثان التي كان عليها قومهم واشتهر عنهم قولهم "ما حجر نطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع"، وتجلّى هذا المبدأ في شعر حنفاء ومنه قول أمية بن الصلت:

إذا قيل من رب هذي السما فليس سواه له يضطرب

ولو قيل رب سوى ربنا لقال العباد جميعا كذب (أمية، 1998، ص21).

ب: الإيمان بالأنبياء والرسل: يعني التصديق الجازم بأن الله عز وجل بعث في كل أمة رسولا منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن الرسل كلهم صادقون مصدقون، أتقياء أمناء هداة مهتدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به فلم يكتموا ولم يغيروا، ويظهر من شعر الحنفاء إيمانهم بالأنبياء والرسل، فقد جاء على لسان أمية بن أبي الصلت:

سمع الله لابن آدم نوح ربنا ذو الجلال والإفضال
حين أوفى بذى حمامة والناس جميعا في فلكه كالعيال (أمية، 1998، ص107).

ج: الاعتكاف: وهو الانزواء التأملي في المواضع الخالية البعيدة عن الناس في المغارات والشعاب، حيث ينقطعون للتعبد والصوم ويلتمسون الدين الحق، ويقدمون القرابين التي أطلقوا عليها تسمية الهدى والقلائد مقتدين في ذلك بسنة إبراهيم عليه السلام الذي أمر بالافتداء بابنه إسماعيل ففداه الله بذبح عظيم، ومن أبرز الأماكن التي كانوا يعتكفون فيها غار حراء، جاء في المسند حدثنا عبد الله، حدثني أبي ثنا أبو المغيرة بن رفاعة، حدثني علي بن يزيد، عن القاسم عن أبي قال: "مرجل بغار فيه شيء من ماء فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان

نوال مغاري

فيه من ماء ويصب ما حوله في البقل ويتخلى من الدنيا ثم قال: إني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبي الله مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل ويتخلى من الدنيا قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة" (أحمد، 2008، ص162).

د: الصلاة والسجود لله وحده وقبلتهم في ذلك الكعبة الشريفة، ولصلاتهم مواقيت معينة، عن ابن كثير أن عمرو بن زيد كان يراقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة، فصلّى وسجد سجدتين، ثم يقول: "هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا أعبد حجرا ولا أصلي له ... ولا أستقسم بالأزلام فيقول: لبيك لا شريك لك ولا ند لك" (ابن كثير، 1992، ص239).

هـ: الحج: هي شعيرة سماوية أمر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤذن بها في الناس كي يأتوه رجالا ونساء من كل فج عميق ليذكروا اسم الله في أيام معلومات ويشهدوا منافع لهم، وأشار بعض المؤرخين إلى كيفية أداء مناسك الحج عند أتباع الحنيفية، حيث قام إبراهيم عليه السلام على الصفا أو مقامه، أو على جبل قبيس ونادى في الناس "يا أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فحجوه، فسمعه ما بين السماء والأرض، وما في أصلاب الرجال وأرحام النساء" فأجابوه لذلك، وخرج إبراهيم عليه السلام ومن معه إلى التروية، ونزل بهم إلى منى ثم سار إلى عرفة في اليوم الثاني، ثم ذهب بهم إلى المزدلفة، وبعد ذلك اتجه إلى رمي الجمرة، وأراهم المنحر وكيفية رمي الجمرات (علي بن محمد، 2012، ص107).

الديانة الحنيفية في شمال الجزيرة العربية

و: كسوة الكعبة: اعتاد العرب كسوة الكعبة وتجميلها منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وحافظوا على هذه الشعيرة حتى بعد أن أدخلوا في الكعبة عبادة الأصنام، واعتبروا الأرض المحيطة بالكعبة جزءاً من قداستها (سميح، 1995، ص53).

ز: الختان: وهو من سنن إبراهيم عليه السلام سار عليه الحنفاء والتزموا به، وبقي العرب على هذه العادة حتى بعد ابتعادهم عن الحنيفية واتجاههم للوثنية (علي بن محمد، 2012، ص130).

ح: الصوم والوضوء والاغتسال من الجنابة وتحريم الخمر ولحم الميتة وذبائح الأصنام وكل ما أهل لغير الله، عن زيد بن عمرو أنه كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: "الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها في الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاماً له".

ط: تحريم وأد البنات عن زيد بن عمرو يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته يقول: "لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها"، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: "إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها" (أبو عبد الله، 2002، ص162).

عملت الحنفية إذن على محاربة عبادة الأصنام وتعدد الآلهة والدعوة إلى إله واحد الرحمن، ومهدت السبيل بذلك لقيام دين شامل على صعيد الجزيرة العربية كلها، غير أنه لم يتسن للحنيفية أن تنتشر انتشاراً واسعاً بسبب مقاومة المشركين حيث كان الشرك متأصلاً في نفوس القوم ومنظماً تنظيماً يفوق الحنيفية (برهان الدين، 1989، ص ص 244-245).

يضاف إلى ذلك أنه لم يكن للحنفاء معابد تتبنى نشر أفكارهم، ولم تمتلك الأموال من أجل حماية أتباعها والقيام بواجباتها، ولم تستطع إيجاد حل للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعاني منها عامة الناس كي تستطيع أن تستميل إليها المظلومين والمعدومين، فكانت تصور للناس الحياة الدنيا بأنها فانية وأن هناك

نوال مغاري

حياة أخرى بعد الموت، وكأنها بذلك أرجأت حل مشاكلهم إلى الحياة الأخرى، ويبدو أن هذا التصور والتوجه لم يكن ليؤثر في نفوس العرب والبسطاء (سهيل، 1993، ص45).

4. خاتمة

الحنيفية نزعة توحيدية جاءت تعبيراً عن التوجهات الروحية والتطورات السياسية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها شمال الجزيرة، وتجسيدا لموقف توحيدي أسس لميثاق مقدس خارج الزمان والمكان موجود في وعي الناس يجذبه نحو المطلق ونحو اللامتناهي خارج إطار أي تشكّل ثقافي.

كان ظهور الحنيفية إيذاناً بالثورة على تعدد الآلهة ودعوة إلى التوحيد الإلهي الخالص، وهي أشبه بحلقة ذات شأن كبير في مرحلة الانتقال من الجاهلية الأخيرة إلى الإسلام.

تقوم الديانة الحنيفية على إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له والإيمان بالأنبياء والصلاة والحج، وتنفرد بأركان تعبدية أخرى ميزت الحنفاء عن محيطهم وعن أهل الكتاب عن الديانات السماوية الأخرى وهي الاعتكاف والختان وتحريم الواد.

5. قائمة المراجع:

الأبرش، عبد السلام عبد الحميد علي أبو القاسم. (2015). الحنيفية وأثرها على معتقدات العرب قبل الإسلام. *المجلة الدولية للتنمية*. المجلد الرابع (العدد الأول). 1-

10.21608DOI.JAID.2015.67719/.13

ابن أبي الصلت، أمية. (1998). ديوان أمية بن أبي الصلت. (الطبعة الأولى). لبنان: دار صادر.

الديانة الحنيفية في شمال الجزيرة العربية

ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (2012). *الكامل في التاريخ*. لبنان: دار الكتاب العربي.

ابن حنبل، أحمد. (2008). *مسند الإمام أحمد*. لبنان: دار الكتب العلمية.
البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل. (2002). *صحيح البخاري*. (الطبعة الأولى). سوريا: دار ابن كثير.

دغيم، سميح. (1995). *أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام*. لبنان: دار الفكر اللبناني.

دلو، برهان الدين. (1989). *جزيرة العرب قبل الإسلام التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي*. (الطبعة الأولى). لبنان: دار الفرابي.
الدمشقي، ابن كثير أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمرو. (1992). *تفسير ابن كثير*. لبنان: دار المعرفة.

الربيعي، فاضل. (2009). *المسيح العربي النصرانية في الجزيرة العربية والصراع البيزنطي الفارسي*. (الطبعة الأولى). لبنان: رياض الريس للكتب والنشر.
سحاب، فكتور. (1992). *إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف*. (الطبعة الأولى) لبنان: كومبيو نشر والمركز الثقافي العربي.

صديقي، محمد الناصر. (2004). *ميتولوجيا أديان العرب قبل الإسلام*. (الطبعة الأولى). لبنان: جداول للترجمة و النشر والتوزيع.

الصياغ، عماد. (1998). *الأحناف دراسة في الفكر الديني التوحيدي في المنطقة العربية قبل الإسلام*. (الطبعة الأولى). سوريا: دار الحصاد للنشر والتوزيع.
علي، جواد. (1993). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. (الطبعة الثانية). العراق: جامعة بغداد.

الفتلاوي، سهيل. (1993). *تاريخ قانون اليمن*. لبنان: دار الفكر المعاصر.

نوال مغاري

مختار، محمد علي. (1984). *الحنيفية والحنفاء دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثاني الجزيرة العربية قبل الإسلام*. (الطبعة الأولى). السعودية: مطابع جامعة الملك سعود.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (1981). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. (الطبعة الثالثة). لبنان: دار الأندلس.

الناصر، محمد درويش و درويش، خولة. (1998). *الحياة الدينية عند العرب بن الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة*. (الطبعة الأولى). السعودية: دار عالم الكتب للطباعة و النشر والتوزيع.

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. (1991). *صحيح مسلم*. (الطبعة الأولى). لبنان: دار الكتب العلمية.